النمو الإجتماعي عند علماء النفس

العوامل المؤثرة في النمو الإجتماعي للمراهق:

إن عملية التطبيع الإجتماعي للأفراد تهدف إلى إكساب المراهق القدرة على التكيف السليم مع أسرته ومجتمعه وتبدأ طريقها النمائي من الطفولة وتستمر مع الفرد طوال الحياة، غير أن الحاجة إليها قد تزداد من حين لآخر طبقاً لما يطرأ على سلوك المراهق من المظاهر النمائية، وهذه الظروف الطارئة كثيراً ما تؤثر على قيم الفرد وسلوكه الإجتماعي، ممثلاً في علاقاته وتصرفاته مع أفراد أسرته وأفراد مجتمعه ومن هنا تظهر أهمية عملية التربية الإجتماعية للمراهق.

أ ـ التأثير الإجتماعي:

«إن التكوين الإجتماعي لا يحدث في فراغ نفسي، أو خواء اجتماعي، وإنما هو محصلة عاملين: الفرد الإنساني ذاته وما فيه، ثم البيئة المحيطة به وما فيها من مؤثرات ثقافية واجتماعية.

فالمراهق يتفاعل سلباً وإيجاباً مع المجتمع الذي ينشأ فيه وما يحتويه من ثقافة وعقيدة وتقاليد وأخلاق ونظم إجتماعية تحيط بالمراهق، وتفرض عليه أنماطاً من السلوك يقتضي منه ملائمة نفسية متزنة، وتكيفاً اجتماعياً سليماً.

والمجتمعات الإنسانية ليست واحدة، فهناك مجتمع محافظ مستقر، وآخر متحرر متجدد، وبينهما ثالث متطور متغير، وفي كل من المحافظة والتحرر والتطور درجات، وما يبيحه مجتمع للناشئين قد لا يبيحه آخر، وما تفرضه جماعة على مراهقيها قد لا تفرضه جماعة أخرى.

ومن هنا نجد أن مراهق البيئة العربية الإسلامية والشرقية غير مراهق البيئة الأمريكية المختلطة، وهما غير مراهق القبائل البدائية الضيقة»[1].

إن المراهق لا ينشيء سلوكه الإجتماعية إنشاء، إنما يتأثر سلوكه الإجتماعي بالأنماط السلوكية السائدة في الأسرة والمدرسة بصفة خاصة والمجتمع بصفة عامة، كما يكون لتكوينه العقلي والنفسي تأثير مباشر في سلوكه الإجتماعي، إن تعرض السلوك الإجتماعي العام للإنحلال أو الإضطراب له تأثير سلبي على سلوك المراهق ومدى تكيفه مع نفسه ومع بيئته.

ب ـ المستوى الإقتصادي:

«وهذا عامل ذو أثر بعيد في بعض خصائص المراهقين، فحين نقول إن المراهق ينشد الإستقلال المادي، وحين يشعر بعجزه الإقتصادي عن تحقيق آماله ورغباته، وحين نقول إن المراهقة ينتقل فيها الفرد من عدم المسؤولية المعاشية إلى تحمل أعبائها وحين نقول أنه يعتمد على أسرته مادياً ويحاول جاهداً أن يستقل معتمداً على نفسه.

---

(١) علم النفس التكويني (صـ ٢٠٩) د/ عبد الحميد الهاشمي.

إننا حين نقول كل ذلك فإنما نقصد مراهق الطبقة الوسطى في بيئاتنا المعاصرة حيث يكافح المراهق ليظهر نفسه فوق مستواه الحقيقي بين زملائه في المركز والمستوى وحين يتوق جاهداً أن يكون كما يتمنى ويحلم أعلى من واقعه الإقتصادي في أسرته عن طريق الرقي الدراسي أو عن طريق العمل الحر، أو عن طريق العدوان أو الإنحراف بينما لا يعاني ذلك تماما مراهقو الطبقة الغنية حيث يجدون من وسائل المال ما يحقق لهم كثيراً مما يرغبون، كما أنهم يجدون في صلتهم بالأسرة ضماناً لمورد لا يكلفهم كثيراً من العناء»[1].

إن العامل الإقتصادي له تأثير سلبي على السلوك النفسي والإجتماعي للمراهق خصوصاً إذا ما غابت التربية الإسلامية الحقة أو قل تأثيرها في المجتمع أو زاحمها أفكار وتيارات منحرفة ـ شرقية أو غربية ـ تهدف إلى اضطراب السلوك الإجتماعي والأخلاقي داخل المجتمع المسلم، حتى غدت السمة الظاهرة في هذا المجتمع الهادىء أن تكالب أفراده وتصارعوا على المال، وقد تفنن الكثيرون في طرق جمعه دون تفريق بين حلالها وحرامها وإن كان جنوحهم إلى الأخيرة أقرب، والمراهق المسلم يقف شاخص البصر إلى حلبة الصراع الدائم بين الأفراد وعلى كل المستويات. كما أن وسائل الإعلام قد أولت اهتماماً خاصاً بهذه الظاهرة مما ساعد على فساد وانحلال الكثير من أصول العلاقات الإجتماعية بين الأفراد.

وأظن أن وسائل الإعلام المسموعة والمرئية قد ساهمت ـ بالمسلسلات والأفلام في إضعاف الثقة وبذر الخلاف والشقاق بين الإخوة وأبناء العم في الأسرة الواحدة من خلال إبراز الوجه المعتم المشؤوم في العلاقات الإنسانية، وهي بذلك تساعد في إنماء

---

(١) المرجع السابق (صـ ٢١١).

الإتجاهات المنحرفة المغرضة الوافدة على السلوك الإجتماعي الإنساني للمجتمع المسلم، درت بذلك أم لم تدر.

إن الإسلام لا يقلل من قيمة المال وأثره في الحياة وتأثيره في الأحياء، ولا يكره للمسلم أن يكون ذا مال، إنما يكره أن لا يفرق المسلم بين طرق جمعه حلالها وحرامها وكذلك المجالات التي يصرف المال فيها، لذا يسأل المسلم عن ماله من أين اكتسبه وفيما أنفقه.

أن التربية الإسلامية تعني بعد ذلك ببذر القناعة والرضا في نفوس أفراد المجتمع رجالاً ونساءً، كي تسير الحياة مسيرتها الطبيعية لا شحناء ولا صراع ولا خلاف ولا شقاق بل مؤاخاة ومصاحبة وصدق ووفاء.

ولقد ضرب صحابة رسول الله ﷺ مثلاً كريماً طيباً في القناعة والرضا.

أخرج ابن أبي حاتم عن الحسن البصري قال: كتب عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى أبي موسى الأشعري رضي الله عنه: اقنع برزقك في الدنيا، فإن الرحمن فضل بعض عباده على بعض في الرزق، بل يبتلي به كلا، فيبتلي به من بسط له كيف شكره فيه، وشكره لله أداؤه الحق الذي افترض عليه فيما رزقه وخوله»[1].

إنها وصية جامعة لخصال الفضل والخير والبر، مانعة لإثارة الفوضى التي يحدثها الصراع المحتدم بين طبقات المجتمع ـ إن سلم هذا التعبير ـ فالإنسان الفاضل هو الذي يقنع برزقه ويرضى به، وليس في ذلك دعوة إلى الكسل والخمول والتقاعد عن طلب الرزق، بل هو

---

(١) حياة الصحابة (جـ ٢ صـ ٦٥١) للعلامة محمد يوسف الكاندهلوي ـ دار القلم ـ دمشق.

السعي والإجتهاد في طلب الرزق من مواضعه المحمودة شرعاً وعرفاً، ثم الرضا بما يوفقه الله إليه، وأن يجتهد في صرفه في الوجوه المحمودة إشاعة للخير والبر بين الناس.

«وعن الشعبي قال: قال علي بن أبي طالب كرم الله وجهه: يا ابن آدم لا تعجل هم يومك الذي يأتي على يومك هذا الذي أنت فيه، فإن يكن من أجلك يأت فيه رزقك، واعلم أنك لا تكتسب من المال فوق قوتك إلا كنت فيه خازناً لغيرك»[1].

«وأخرج ابن عساكر عن سعد رضي الله عنه أنه قال لابنه: يا بني إذا طلبت الغنى فاطلبه بالقناعة، فإنه من لم يكن له قناعة لم يغنه مال»[2].

إن المجتمع الإسلامي ينشأ فيه المراهقون على القناعة والرضا والإطمئنان على الغد قريبه وبعيده، فالأرزاق موكولةٌ إلى الله عز وجل، والفرد مبتلى في حال الغنى وبسط الرزق، كما هو مبتلي في حال الفقر.

قال الله تعالى:

﴿فَأَمَّا الإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلاَهُ رَبُّه فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ * وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلاَهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ * كَلاَ بَلْ لاَ تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ * وَلاَ تُحَاضُّونَ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ﴾[3].

فعلى المراهق المسلم أن يحصن نفسه بالقناعة والرضا، ويجتهد في سعيه ليرزقه من الوجوه المحمودة ما دعته الحاجة إلى العمل للمشاركة في إعالة نفسه أو الإستقلال بذلك.

---

(١) المصدر السابق (صـ ٦٥١).
(٢) المصدر السابق.
(٣) سورة الفجر آية: (١٥، ١٨).